رواية
سُـــــقُوط الـــــنور
الشياطين والقريةُ الصالحة
للكـــــاتب:
عـــامر الشـــمّاع

سـقوط الـنور

✦اسم الكتاب: سقوط النور

✦التصنيف: رواية

✦المؤلف: عامر الشمّاع

✦عدد الصفحات: ٦٣

✦تنسيق الكتاب: سمر حنش

✦تأريخ النشر: ٥/١١/٢٠٢٥

✦الناشر: انطلاقة نحو النور

جميعُ الحُقوق محفوظة لدى الناشر

استعدَ لَلغوصِ في رَحلةٍ تحبِسُ الأنفاس، وتُضيءُ زوايا الروح، وتدعوكَ لِلتأمُّلِ فيما وراء الظلام...

هلْ أنتَ مُستعدْ؟...

إذا كُنتَ مُستعدْ؛ فاقلبِ الصفحة...

الفصلُ الأوّل

✦ سقوط النور✦

كان يُقال عن قرية

"أُمّ النور"

إنها قطعة من الجنة سقطت على الأرض. بيوتها من طين، وقلوب أهلها من ذهب.

لا حقد، لا نزاع، لا خيانة. وكان الشيخ نور الدين، إمامها ومعلمها، رجلاً فاضلاً، وجهه كالقمر، وحديثه كالبلسم.

كان يجوب الأزقة كل صباح، يسأل
عن الأرامل،

ويواسي اليتامى،

ويمسح دموع الحزانى.

علَّم الناس العلم، وغرس في قلوبهم
الفضيلة، وكان الجميع ينادونه:

بـ "أبونا النور".

لكن في ليلة مقمرة... تغيّر كل شيء.

بدأت الشياطين تسكن الظلال. اختطفوا الأطفال واحدًا تلو الآخر، وأعادوهم بأرواح ممسوخة. لم يعودوا كما كانوا... صاروا يصرخون في وجوه أمهاتهم، يسبّون الآيات، ويلعبون بتعاويذ لا يفهمها أحد.

حاول الشيخ نور الدين تنبيه أهل القرية:

"لقد دنّسَ الشر أرضنا... الشياطين تلبّسوا أبناءنا."

لكنهم... لم يصدقوه.

كانت الشياطين أذكى مما ظنّ. نشروا إشاعات بأن الشيخ هو من يستعمل السحر. قالوا إنه يختطف الأطفال ليجعلهم أتباعًا له.

وراحت الألسن تهمس:

"من يملك هذا التأثير... لا بد أنه متعامل مع الجن!" "ألم يقل ذات مرة إن النور لا يُرى إلا بعد الظلام؟ ربما كان يقصد شيئًا آخر!"

كبرت الفتنة... وانقلبت القرية على من ربّاها.

في صباح حزين، خرج أهل القرية كالسيل. قرعوا الأجراس، هدموا أبواب المسجد، وجرّوا الشيخ من داره.

صرخ أحدهم: "هذا هو الساحر! هذا مدنّس أطفالنا!"

وكانت الحجارة تنهال على جسده النحيل. لم يدافع عن نفسه... فقط نظر في وجوههم، وقال:

"سامحكم الله... لقد خدعتكم الظلمة."

سُجن الشيخ في قبو مظلم، لا يرى فيه سوى نفسه. وفي الليلة نفسها، أُقيم مجلس القرية، وأُعلن الحكم:

"يُعدم نور الدين عند الفجر... ليُطهّر النور من دنَسه.

الفجر يقترب... والقرية تتهيّأ للقتل.

لكن في مكانٍ بعيد، عند أطراف الغابة، كان هناك شاب يقرأ من كتاب قديم... وتشتعل في عينيه نار... لم ولن تنطفئ.

الفصلُ الثانـي

✦ دخـول التلميـذ ✦

كانت القرية تبدو هادئة... أكثر مما ينبغي.

لا أصوات، لا بكاء أطفال، لا ضحكات نساء، حتى الريح كانت تدور في حلقة صامتة كأنها خائفة من أن تزعج شيئًا في الأعماق.

دخل التلميذُ بثيابه البسيطة، وكتابٍ قديم على كتفه، وعينين فيهما نور لم يعتده أهل المكان.

وقف عند البوابة، حيث جلس شيخ القرية، بعينين مطفأتين وروحٍ منهكة.

"من أنت؟"

أجاب التلميذ بصوت ثابت:

"أنا من تبقّى من النور."

كانت القرية في قبضة الظلام، لا ترى ذلك في العيون، بل في الأرواح.

الشياطين تسكن الأزقّة، وتتنفس بين ثنايا الجدران، وتضحك من تحت ثياب الرجال.

لم يكن يعلم التلميذ أن كل خطوة يخطوها، تُراقَب... وكل من يلامسه يُعلَّم.

بدأ رحلته بالعلاج، كان يُلقي تعاويذه الطاهرة على الممسوسين، فيصرخ الجسد، ويقاوم، ثم يعود إليه النور...

لكن ما لم يعلمه، أن كل من يعالجه...
يُؤخذ سرًا في الليل،

ويُرمى في أقبية التعذيب، هناك حيث
لا صوت يعلو فوق أنين الألم.

انتبه التلميذ للخديعة متأخرًا...

كان يرى وجوهًا عالجها بالأمس، قد
اختفت...

يسأل عنها، فيقولون:

"رحل... سافر..."

لكن عينيه لم تصدق.

وفي أحد الليالي، وبينما هو يتهجد، انفتحت الأرض تحته، وانقضّت عليه ظلالٌ سوداء،

أرادوا أن ينهوا النور، لكنهم فشلوا...

هرب التلميذ، جريحًا، محطمًا،

إلى مكان لا يعرفه أحد... وبدأ من هناك...

الفصلُ الثالث

✦ صـرخـة مـن الظلام ✦

الليل كان ساكنًا... لكن التلميذ لم يكن مرتاحًا.

شيءٌ في صدره يخبره أن هناك روحًا تستنجد، تناديه من مكانٍ لا تُفتح له أبواب السماء.

جلس متأملاً، يتلو آيات النور، ويمسك كتابه القديم المرتجف بين يديه...

وفجأة...

سُمع الصوت.

صرخة... واحدة... قصيرة، لكنها محمّلة بألف عذاب.

التفت نحو الشرق.

لم تكن الصرخة في الأذن، بل في القلب.

في تلك الليلة، قرّر أن يخرج وحده... يتتبّع الصوت...

ومشى حتى دخل إلى زقاق مهجور خلف سور الطاحونة القديمة.

هناك... رأى الباب الخشبي الذي لم يكن يراه أحد.

فتح الباب... وإذا به يقود إلى سردابٍ عفن، مظلم، تتصاعد منه روائح الموت.

ومع أول خطوةٍ داخله... سمع صوت الحديد يُسحب...

وصوت رجل يهمس:

"تأخّرت كثيرًا... لقد أخذوه."

اقترب أكثر، فإذا بالظلام ينقشع تدريجيًا... وهناك في زاوية القبو، رآه...

رجلٌ من الذين عالجهم، معلّق من قدميه، جلدُه ممزّق، عينيه نصف مغلقة، يهمس:

"هربنا من الشياطين التي تسكننا، فقبضت علينا شياطين البشر... لا فرق..."

شعر التلميذ بدموعٍ ساخنة تتجمع في عينيه،

فركض نحو الرجل محاولًا إنزاله...

لكن فجأة، سُمعت خطوات...

قادمون!

لم يكن وحده في المكان...

دخلت مجموعة من الشياطين، يرتدون عباءات سوداء، ملامحهم مشوّهة، وأعينهم تلمع بلون الدم.

وفي مقدمتهم... ذلك الوجه الذي يعرفه التلميذ.

لم يكن من الشياطين...

بل من رجال القرية...

شيخٌ كان يدّعي الصلاح... لكنه كان خادمًا للشيطان الأكبر.

قال له بابتسامة مقيتة:

"تظن أنك تُنقذهم؟ نحن من سمحنا لك بدخول القرية... كنا ننتظرك منذ البداية."

في لحظة واحدة... أدرك التلميذ أن الخيانة لم تكن من الشياطين... بل من بعض من يسمّون أنفسهم بشرًا.

رفع كتابه... وتمتم بكلمات لم ينطق بها من قبل...

واندلع النور من كفّه، أشعل ظلال المكان...

وهرب، حاملًا جسد الرجل الجريح، وقلبه أثقل من الجبال.

خرج من القبو وهو يسمع الضحكات السوداء خلفه:

"اهرب يا تلميذ النور... فنحن نعرف إلى أين ستذهب."

الفصلُ الرابع

✦ الرمادُ لا يكذب ✦

هرب التلميذ من القرية، جرحه لا زال ينزف، لا من جسده فقط... بل من قلبه.

كان كل من وثق بهم قد سقط...

كل من أنقذهم، انتهى بهم الأمر في أعماق ظلام لا قرار له.

مشى طويلًا... بين الجبال الميتة، والأرض التي لا تعرف سوى الصمت...

حتى وصل إلى وادٍ لا اسم له، هناك حيث لا يعيش أحد...

لكن في العدم... دائمًا هناك رمقٌ
ينتظر أن تُنفخ فيه الروح.

في ذاك المكان المجهول، وجد كوخًا صغيرًا تحيط به نيران لا تُطفأ،

وفي الداخل... رجل ضرير، جالس أمام نار لا تدفئ أحدًا،

قال له قبل أن يتكلم:

"أعلم من أنت، وأعلم لماذا جئت..."

"كيف؟"

سأل التلميذ بذهول.

"الرماد لا يكذب يا بني... حين يسقط النور، يُنبت الرماد أصواتًا لا يسمعها إلا من احترق."

جلس التلميذ منهكًا، وبدأ يحكي ما جرى،

عن القرية، عن الشياطين، عن من أنقذهم وخُطفوا، عن الخيانة، وعن الحرب التي لم تبدأ بعد لكنها أكلته حيًّا.

"لن تُحارب وحدك"،

قال الضرير.

ثم صفق ثلاث مرات...

فدخلت امرأة عجوز تحمل رمحًا من العظام، وطفل صغير بوجهٍ هادئ،

ومع كل دقيقة، كانَ ينضمُّ إليها آخرون...

رجال فقدوا أهلهم، نساء طُعنت قلوبهن، وشيوخ ماتت أصواتهم في المساجد.

كانوا قليلين... لكن في أعينهم نورًا من نوعٍ آخر... نورٌ مجروح، لكنه نقيّ.

وهكذا... بدأ التلميذ يُعلّمهم، كيف يحاربون ليس بالسيف فقط، بل بالكلمة، بالصدق، وبنورٍ يخرج من قلوبهم.

لكن الشياطين... لم تصمت.

كانت تراقب...

ترسل جواسيسها متنكرين في هيئة صالحين...

وفي ليلةٍ رمادية، استيقظ التلميذ على همسات في الهواء:

"أحدهم خان... لقد كُشف مكانكم..."

لم تمضِ ساعة... حتى انهالت عليهم نيران سوداء من السماء، وصيحات شيطانية تمزّق كل من تسمعها.

بدأت الحرب...

والتلميذ... في المقدّمة،

صرخ فيهم:

"لا تقاتلوا لتحيوا... بل قاتلوا لأنكم
حيّيتم أخيرًا!"

قاتلوا... وسقطوا...

كثيرون أُسروا...

وكثيرون ماتوا دون أن يُعرف اسمهم.

أما التلميذ، فقد كان في آخر المعركة
محاطًا بأربعة شياطين من أقوى جنود
الظلام،

وبمعجزةٍ ما... نجا.

هرب هو ومن تبقى معه...

إلى مكان لم يُذكر على أي خريطة...

لكنه أقسم، وهو يلفّ جراحه:

"هذه ليست النهاية... بل بدايتنا الجديدة."

الفصلُ الخامس

✦ نورٌ يُخفيه التراب ✦

هرب التلميذ ذات فجرٍ معتم، وقد تقطّعت بهِ السُبل...

لم يكن يعلم إلى أين تقوده قدماه، لكنه كان يؤمن أن النور لا يموت، بل يختبئ حين يشتد الظلام.

بعد أيامٍ من التيه، وجد نفسه أمام كوخ صغير، محاطٍ بأرضٍ خضراء كأنها لم تُدنّس أبدًا.

كانت هناك أسرةٌ بسيطة، وجوههم هادئة، أعينهم تحمل طهرًا نادرًا في هذا الزمن.

فتحوا له الباب دون سؤال، سقوه من لبنهم، ومسحوا عن جبينه جراح الحرب.

وفي تلك الأرض، حيث تتنفس الزهور بلا خوف، بدأ جسده يتعافى،

لكن قلبه ظلّ يحترق.

مرت الأيام، وبدأ يبحث عن الناجين من جحيم المعركة...

شيئًا فشيئًا، توافد عليه من تبقى من الصالحين، الذين سمعوا بعودته، فأتوه من الجبال والوديان.

بَنَوا بيوتًا من طين، لكن قلوبهم من حديد.

حصّنوا القرية، حفروا الخنادق، زرعوا الأشجار، وعاد النور يُشرق عليهم كل صباح.

أما التلميذ، فلم يكتفِ...

كان يشنّ حربًا فكرية صامتة، يُلقي التعويذات المضادّة عبر الرسائل، والرموز، والمقالات المنقوشة على الجدران،

يحارب السمّ المنتشر من الشياطين بالحقيقة.

لكن الشياطين... لم تنسَ.

كانت تفتّش الأرض شبرًا شبرًا، ترسل جواسيسها ليلًا، وتقرأ الرياح بحثًا عن رائحة النور.

لكن التلميذ كان أذكى مما توقعوا...

كان يخدعهم، يضللهم، يرسل إشارات مزيفة، ويغيّر طريقه كل أسبوع.

حتى جاء ذلك اليوم...

كانَ راعٍ بسيط، رأى أمرًا غريبًا في الغابة القريبة...

أحد رجال التلميذ كان يتدرّب على التعويذات.

خافَ الراعي، وذهب من تلقاء نفسه للشياطين، ووشى بما رأى.

أخذوه، وحقّقوا معه،

عذبوه، مزّقوا جلده،

لكنه أنكر معرفته بمكان التلميذ،

ثم قال:

"لكنني أعلم أن له جواسيس داخل مدينتكم."

فوجئت الشياطين، وانقضّت على مدينتها بحثًا عن الجواسيس.

وأمسكوا بعددٍ منهم...

لكن أولئك الصالحين... لم ينطقوا بكلمة.

تحمّلوا العذاب، النار، السكاكين، المقصلة...

وماتوا جميعًا وهم صامتون، يحملون النور في صدورهم كقنابل لا تنفجر إلا صدقًا.

أما الراعي...

فعادوا إليه، بعد أن فشلوا مع الجواسيس،

قالوا له:

"أخبرنا عن التلميذ، وسنتركك."

بكى، وصرخ،

وقال:

"لقد خنت العهد... سامحني يا تلميذ النور."

ثم طعنوه ومات وهو يصيح كأن الأرض كلها تسمعه.

لكن النار بدأت تشتعل...

فقد أرسل الجواسيس المتبقون رسائل سرية إلى قائدهم،

وبدأوا بخطة الردّ.

في عمق مدينة الشياطين،

أُضرمت النيران في الأبراج،

وقُتل بعض زعماء الظلام على يد رجال النور المتخفّين.

الشياطين جنّ جنونهم.

عادوا إلى مدينتهم لإنقاذ ما تبقى،

وتركوا خط الدفاع فارغًا...

وهناك،

في الطريق المؤدي إليهم،

كانت كمائن النور تنتظر.

فُتحت الحفر، اندفعت النيران،

وانهالت السهام من كل صوب...
مات كثيرٌ من الشياطين، وأُسر منهم عددٌ كبير.

لكنهم لم ينسوا من بدأ هذه الحرب...

الفصلُ الأخير

✦ حين بكى المطر ✦

لم تكن الضربة التي تلقّوها قاتلة...
لكنها كانت موجعة.

اختلت بها موازين الحرب، اهتزّت الأرض تحت أقدامهم، لكن التلميذ لم يهتز.

وقف أمام الخراب وقال:

"ما دامت أرواحنا واقفة، فلن تسقط الجدران وحدها."

الشياطين عرفوا مكانه، لكنهم وصلوا بعد فوات الأوان...

كانت المدينة قد تحصّنت، استعدّت، وقرّرت أن تموت واقفة لا راكعة.

بدأ التلميذ بإرسال الرسائل إلى المدن الأخرى،

يحذر، يستنجد، ويطلب أن يتّحد النور قبل أن يبتلعه الظلام.

لكن الردود... جاءت ثقيلة.

منهم من قتَل حامل الرسالة.

ومنهم من نعته بالشر الملعون.

ومنهم من صمت خوفًا، أو نسي ما تعنيه الكلمة.

إلّا لم يكن الجميع كذلك...

في أطراف الأرض، كانت هناك مدن
يضيء فيها النور بصمت،

رجالها سمعوا النداء، وجهّزوا
أنفسهم... دون أن يراهم التلميذ.

الشياطين استعدوا كذلك.

جيشٌ من الخوف، تتقدمه أصوات لا يسمعها إلا من عرف طعم الموت.

وتقدموا... تقدموا بقوة، فاجأوا المدينة الحصينة.

ودارت المعركة.

التلميذ كان يمشي بين الصفوف، يربت على أكتاف المتعبين،

يلقي تعاويذ الحماية،

يُعيد من يسقط،

ويُرسل من لا يُشفى إلى الدعاء.

القتال استمر...

يوماً، ثم آخر، ثم أسبوعًا، ثم عشرين يومًا.

الماء انقطع.

الطعام احترق.

المزارع تحوّلت رمادًا.

الناس بدأوا يجفّون...

ومع ذلك، وقفوا.

لم يكن السلاح وحده من قتلهم.

بل الخيانة.

خائنٌ دخل بينهم، ادّعى الإيمان،

وكان الشيطان بوجهٍ بشري.

طعَن من وثق به، وسلّم أسرار المدينة، ثم مات...

لكن أثره بقي.

صار كل شيء ينهار:

الأسوار، الطعام، الأمل...

وسأل الشياطين أنفسهم:

"ما الذي يجعلهم واقفين؟"

ما الذي يجعلهم يقاتلون وهم جائعون، عطشى، مرهقون، محاصرون؟

لكنهم لم يعرفوا...

إنه النور الذي لا يُرى،

إنه الإيمان الذي لا تمسه نيرانهم.

وفي اليوم الذي كادت فيه المدينة تسقط...

نزل المطر.

غسلت الأرض، وارتوت القلوب،

ومع كل قطرة، عاد نبضٌ قد انطفأ.

وفي ذلك الوقت...

خرج رجال من كل فج، من مدن لا تُعرف،

من جبال بعيدة،

من بيوت كانت تدعو بصمت.

خرجوا وفي أعينهم وعدٌ قديم:

"لن ندع النور يُقتل مرتين."

قاتلوا، وانتصروا،

تراجع الشياطين،

وانهزم جيش الظلام...

لكن بعضًا من شياطين الإنس اختفوا، فرّوا،

اختبأوا في أماكن لم تُكشف.

وقف التلميذ على الركام،

رفع رأسه نحو السماء،

وقال:

"سقط النور يومًا... لكن الأرض حفظته."

✦ النـهايـة ✦

والآن...

وبعد انِ اختبرتم رحلة الظلام والنور،
وتعرّفتم على صِراعِ الحقّ والباطل؛
تذكّروا أنّ لكُلّ سُقوطٍ بِداية، ولكُلّ نورٍ
نِهاية؛ لكنّ النهاية ليست إلّا وعدًا
بِبدايةٍ جديدة...

سُقوط النور: ليستْ مُجرّدَ روايةٍ؛
إنها صِراعٌ مُستمر بينَ الحقِّ
والباطل، بين النورِ والظلام.
تأخُذُكَ هذه الرواية في رِحلةٍ مُشوّقة
حيثُ تتصارعُ النُفوس، وتُختبرُ
المواقف، وتُسطّرُ القرارات مصائرَ
الأبطال...